إنشاء المؤسسات الخيرية

أصول الدعوة

إعداد أ/ محمد الجوهري
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم - ماليزيا
waleed.eltantawy@mediu.edu.my

***خلاصة*—هذا البحث يبحث في إنشاء المؤسسات الخيرية.**

الكلمات الافتتاحية: مؤسسة، خيرية.

I. *المقدمة*

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد أخي الطَّالب، سلامٌ من الله عليكَ ورحمةٌ منه وبركات، ومرحباً بك في سلسلة الدُّروس المقرَّرة عليك في إطار مادَّة أصول الدعوة ، لهذا الفصل الدِّراسيّ، آملينَ أن تجدَ فيها كلّ المُتعة والفائدة، وفي هذا الدرس نتعرف على إنشاء المؤسسات الخيرية.

II. موضوع المقالة

إنشاء المؤسسات الخيرية:

إن للمؤسسات الخيرية دورها العظيم الذي تقدمه للمجتمع، فتثبت به أركانه وتؤكد به على خيرية الأمة ووحدة شعورها وتوجهها، وفي ذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ولذلك اجتهد المسلمون في إنشاء هذه المؤسسات الخيرية التي تقوم على تقديم الخدمات المختلفة للمجتمع : كالعلاج، والتعليم والإنفاق على الفقراء والمساكين، ورعاية الأرامل واليتامى، وإغاثة المحتاجين إلى آخر هذه الأعمال الخيرية.

وعلى سبيل المثال فقد بلغ عدد المغاثين من قِبَلِ بعض المؤسسات الخيرية في الخمس سنوات الأخيرة، حتى عام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين من الهجرة بلغ عددهم أكثر من خمسة ملايين، ونصف المليون محتاج، وأما مداواة المرضى : فقد بلغ إجمال المخيمات الطبية التي أقامتها بعض المؤسسات الخيرية الإسلامية في شتى أصقاع العالم، بلغت أكثر من خمسمائة مخيم طبي في إفريقيا وآسيا وأوربا، هذا غير المستشفيات الميدانية التي تقام في ساعات الكوارث والحروب.

٢ـ نماذج للمؤسسات الخيرية:

هناك مؤسسات خيرية إسلامية متخصصة قلَّمَا يوجد لها مثيل حتى في النمط الغربي للعمل الخيري، ومنها مؤسسة البصر الخيرية العالمية، والتي تُعْنَى بالذين حرموا نعمة الرؤية، وأظلمت الدنيا في وجوههم فامتدت إليهم الأيادي الرحيم ة من هذه المؤسسة، وهذا بخلاف المؤسسات الخيرية الكثيرة العاملة داخل كل بلد عربي وإسلامي، وهذه المؤسسات الخيرية ولا شك تدعم العمل الدعوي، وتقوي جانب الدعوة الإسلامية، وتؤكد على قيم الإسلام التي تدعو إلى الإنفاق، والتكافل ورعاية الضعفاء والمحتاجين، كما أنها تقوي المجتمع وتدفع به نحو الرقي والتقدم، بالإضافة إلى أنها تشعر المسلمين جميعًا أنهم جسدٌ واحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ولم يكن العمل الخيري الذي تقوم من خلاله المؤسسات الخيرية التي تبني المستشفيات والمدارس خاصًّا بهذا العصر الحاضر، بل لقد وجد منذ عصور الإسلام الأولى.

فالمستشفيات والمدارس على سبيل المثال كانت موجودة منذ وقت مبكر وكانت تسمى المستشفيات: "بالبيمارستانات" جمع بيمارستان، وهذا ما شهد به ليس فقط الأصدقاء، بل وأيضًا الأعداء، بل لقد شهد بهذا أحد الكتاب الغربيين، وهو الكاتب الأمريكي "جونز" قال: لقد انتشرت البيمارستانات انتشارًا واسعًا في العالم الإسلامي، وذلك منذ ظهورها المبكر خلال القرن الأول الإسلامي، أو نحو ذلك، وقد تأسست البيمارستانات ودعمت بواسطة الأموال الخيرية للأوقاف، وكان البيمارستان مثالًا للجانب الأخلاقي والإنس اني والحياتي الذي ينطوي عليه الإسلام، وكذلك على شمول الثقافة الطبية الإسلامية على الناحيتين النظرية والعملية.

وقد تميزت في العصور الوسطى للإسلام عن مثيلاتها من المستشفيات الرومانية والبيزنطية والأوروبية، حيث كان البيمارستان يجمع بين ممارسة الطب وتعليمه، وك ان الغرض من إنشاء البيمارستان، الذي كان يدعم عن طريق نظام الأوقاف الدينية أن يكون مثالًا على النزعة الخيرية للإسلام، وينسب إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك تأسيس أول مستشفىً عام، سنة ثمانية وثمانين من الهجرة، الموافق سبعمائة وسبعًا من الميلاد، وبعد ذلك توالى إنشاء مثل هذه المؤسسات في المدن الرئيسية في العالم الإسلامي على يد الخيرين.

فبنى ابن طولون مستشفى للفقراء في القاهرة عام مائتين وواحد وتسعين من الهجرة، ودعم صلاح الدين اثنين في مصر، كذلك أسس ابن جبير في دمشق مستشفيين أحدهما، و بيمارستان النوري العظيم، لا يزال جزء منها قائمًا حتى اليوم، ومع بداية القرن الرابع الهجري كان في بغداد ثمانية مستشفيات، وكانت العادة أن تنشأ المستشفيات ويلحق بها مدرسة، حيث يقوم المدرسون بتقديم العلوم الطبية للطلبة، وكانت المستشفيات تنظم وتتخصص في عملها، وذلك بجانب الأجنحة التي تضم مختلف الأمراض، وكذلك التسهيلات الجراحية والصيدلانية، والمكتبات الطبية، وخدمات الإسعاف، ويقوم الأطباء المقيمون تحت إشراف مدير معين بتقديم الرعاية الصحية المتخصصة، والخدمات العلاجية، كما طورت المدارس الطبية نظمًا لاختيار الأطباء الجدد، والإقرار بكفاءاتهم، ومنحهم التراخيص لمزاولة مهنة الطب، أو منحهم الدبلومات المتخصصة.

وقد تأسست المستشفيات العامة في الإسلام، ودُعِّمَتْ بواسطة الهيئات الخيرية على صورة أوقاف، وهي عبارة عن أملاك دائمة بلا وريث تؤتي دخلها من المزارع والمحلات والأبنية التي كانت تخصص للدعم المستمر ل لعديد من المؤسسات الخيرية، ومن ذلك المستشفيات، ومنذ ظهور الوقف في القرن الأول الإسلامي، والذي كان يستخدم في دعم عدد عظيم من المؤسسات الخيرية : كالمساجد والمدارس، والمكتبات والمدافن، وقوافل الحجاج، وإغاثة الفقراء وغير ذلك.

منذ ظهوره أوضح الدفعة القوية الواضح ة للأعمال الخيرية، والتي تعتبر أحد سمات الإسلام وهو يمثل الوسائل الأعظم شيوعًا في الامتثال لواجب اتباع المعايير الأخلاقية للقرآن الكريم، والشريعة المقدسة لحياة البشر . وهكذا فإنه في توجيهه إلى تلك المؤسسات، الوثيقة الصلة بالبشر ممثلةً في البيمارستانات، أي ا لمستشفيات يتماشى تمامًا مع الاتجاهات الأساسية للدين الإسلامي، هذا ما شهد به هذا الكاتب الأمريكي.

ولخطورة المستشفيات والدور الذي تقوم به في تدعيم المجتمع الإسلامي، ومساعدة المسلم المريض، وربطه مع إخوانه في وحدة واحدة، كالجسد الواحد؛ لهذه الخطورة الكبرى للمستشفيات اهتم به ا الغرب، الذي لم يتوانى في بناء المستشفيات في الشرق الإسلامي وتقديم العلاج الطبي؛ بهدف تبشير المرضى المسلمين.

يقول المبشر نورسون: نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى في المستشفيات : أن ندخلهم أعضاء عاملين في ا لكنيسة المسيحية الحية، كما جاء على لسان المبشرة "إيرا هارس " وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تبشيرية، تقول: يجب أن تنتهز الفرصة؛ لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم، فتكرز لهم بالإنجيل إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلا ق، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك، فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط، لا التبشير، فلا تسمع منه، هذا ولا ينبغي أن تنسى ما سبق ذكره عما دار في المؤتمرات التبشيرية، وكلها توصي باتخاذ القرارات من أجل استخدام العلاج الطبي في التبشير.

كقولهم: يجب الإكثار من الإرساليات الطبية؛ لأن رجالها يحتكون دائمًا بالجمهور، ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمسلمين الآخرين ويجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى، ولو للحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك.

إن المرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين، وعندما يرحل الأطباء جائبين البلاد، ينشرون في النفوس بذورًا يمكن للمبشرين وبائعي الكتب أن يحصدوها بعد ذلك، وينمو أغراسها، ويتقرب المبشرون إلى المسلمين بالمدارس، والإرساليات الطبية، وهذه الإرساليات الطبية مثل الشوك في الأجسام بالنسبة لزعماء

المسلمين، الذين يسألون أنفسهم قائلين : إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا، وإن النساء المبشرات اللاتي يتعاطين الطب، يلاقين مزيد الحفاوة؛ لأن المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات، ولا يضمرون لهن سوءًا ولذلك لا يشجع المبشرون على إنشاء مستشفيات وطنية في مجال عملهم؛ لأن وجود مثل تلك المستشفيات يحول بينهم وبين تحقيق مآربهم عن طريق العلاج الطبي.

ومصداق ذلك ما قرره الطبيب المبشر بول هاريسون بقوله : إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفيات، لقد وُجِدْنَا نحن في بلاد العرب؛ لنجعل رجالها ونساءها نصارى، وهذا كله يوضح لنا ما تنطوي عليه نفوس المبشرين، مهما كانت الوسيلة التي يتخذونها ستارًا؛ ليزاولوا من ورائها مهمتهم التبشيرية التي كلفوا بها.

وهناك أساليب التبشير الطبي المتعددة، ففي المستشفيات المقامة بالمدن، على الأطباء الموجودين بها أن يذكروا للمترددين على تلك المستشفيات الإنجيل بأسلوب بسيط، لا يدعو إلى التطرف في المناقشة، وفي الفيافي والأدغال عليهم أن يهيئوا الأذهان لدى المرضى قبل موعد وصول الطبيب بوقت طويل؛ حتى يمكن تجميع أكبر عدد من المرضى، الذين يقوم المبشرون بالتبشير بينهم في تلك المدة، التي فيها ينتظرون وصول الطبيب إلى المستشفى، وفي كافة الأحوال والظروف التي يُخْضِعُوْنَ فيها المرضى لصالح التبشير؛ لا يقومون بالعلاج للمرضى إلا بعد أن يحملوهم على الاعتراف بأن الذي يشفيهم من أمراضهم هو المسيح، أو قبل أن يخر المرضى راكعين سائلين المسيح الشفاء.

ولا ينبغي أن يغفل في هذا المقام ما تقوم به الطبيبات المبشرات من زيارات البيوت في القرى والمدن؛ للاتصال بالنساء مباشرة، واستخدامهن في الوصول إلى أهدافهن، إذ أن المريض في حالة مرضه يلتقي حوله العديد من أقاربه ومعارفه من الرجال والنساء، مما يعد فرصة كبيرة أمام المبشرات لتحقيق عملهن التبشيري، وبتلك الص ورة تحول العلاج الطبي عن طريق المبشرين، وهو عمل إنساني إلى وسيلة خداع؛ لمحاولة تنصير الناس عن طريقها مما لا يقره عقل، ولا يقبله منطق ولا دين.

كذلك فإن من الأعمال التي تقوم بها المؤسسات الخيرية : بناءُ المدارس لتربية المسلمين وتعليمهم، وتبدو أهمية بناء المدا رس، والدور الذي تقوم به والأهداف التي تحققها فيما يأتي:

أولًا: صياغة عقلية أبناء الإسلام، وتربيتهم تربية تتمشى مع منهج الإسلام الحنيف.

ثانيًا: تعميق الانتماء للإسلام وتاريخه، وتراثه ومبادئه، ولغته؛ فينشأ جيل محب لدينه، ملتزم بقيمه، عامل بتعاليمه، وقد تنبه المبشرون من أبناء الغرب لخطورة المدارس، والدور التعليمي والتربوي الذي تقوم به؛ فلم يتوانوا في بناء المدارس في بلاد الشرق الإسلامي؛ رغبةً في طمس الهوية الإسلامية، وصياغة عقلية أبناء الإسلام صياغةً غربيةً، فيخرج جيل لا يعرف دينه، ولا ينتمي لإسلامه، ولا يحترم تاريخ الإسلام، ولا لغة الإسلام، ولا ثقافة الإسلام، ولا تراث الإسلام، ولعل هذا ما نلحظه في أقوال الغربيين أنفسهم.

يقول المستشرق الإنجليزي هاملتون جبْ : التعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل للاستغراب، والحق أنه العامل الوحيد إنْ فهمنا من كلمة التعليم ما تدل عليه، ولا تستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسة الفكر الغربي، والمبادئ والنظم الغربية.

ويقول آخر : إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكونها كيف يشاء، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرًا من أي مادة كيميائية، هو الذي يستطيع أن يحول جبلًا شامخًا إلى كومة تراب.

ويقول في موقف آخر : إياك أن تكون آمنًا من العلم الذي تدرسه؛ فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها.

ويقول اللورد كرومر : -المندوب السامي البريطاني وهو من أخطر من حكموا مصر إبان فترة احتلالها المشئوم- : إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزًا في طريق أي إصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرًا عظيمًا من غرور التعصب الديني، ولا يصيبو ن إلا قدرًا ضئيلًا من مرونة التفكير والتقدير، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله؛ لكانت هذه خطوة جليلة الخطر، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه؛ فحينئذ يصبح الأمل محصورًا في إصلاح التعليم اللاديني. الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين: فإما أن يتطور، وإما أن يموت ويختفي.

ويقول عميد المبشرين- زويمر في مؤتمر القدس عام ألفٍ وتسعمائة وخمسٍ وثلاثين من الميلاد، ألف وثلاثمائة وأربع وخمسينَ من الهجرة يقول : لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحُقْبَة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وأنكم أعددتم نشأ في ديار المسلمين، لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه المسيحية. كان هذا هو الخطر الخطير، والتحدي الشديد الذي بدأ به النفوذ الغربي تعامله مع المسلمين، حين أقام مدارسه ومعاهده، وإرسالياته التبشيرية ،ثم فرض مناهجه الغربية التبشيرية على التعليم القومي، الذي كان يشرف على إعداده بواسطة رجاله أمثال : "دانلوب" في مصر، ومثيله في سوريا والمغرب والعراق؛ من أجل إنشاء ما أسماه كرومر تلك الأجيال المؤمنة بالغرب، المستسلمة له.

أولئك المتفرنجين الذين أعدهم؛ ليمتلكوا إرادة النفوذ في مختلف دوائر السياسة والثقافة، والتربية والتعليم، ولقد كانت لتلك الإرساليات التبشيرية على اختلاف مذاهبها، دورها الخطير في تنشئة أجيال متعددة في العالم الإسلامي، تابعت منهج الغرب، وحجبت منهج الإسلام.

يقول هاملتون جب في تصوير أثر منهج التربية الغربية في العالم الإسلامي، يقول : لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية أن يترك في المسلمين ، ولو من غير وعي منهم أثرًا يجعلهم في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللُّب المثمر في كلّ ما تركت محاولات الغرب على العالم الإسلامي من آثار.

هذه هي ثمرة خطة الاستعمار عن طريق التبشير بالمدرسة.

هذه الخطة التي ركزت تركيزًا شديدًا على التعليم؛ ذلك أن التعليم : هو المنطلق الحقيقي لخطة الغزو الثقافي، ومازال وسيظل إلى وقت طويل ما لم يتدارك المسئولون المسلمون هذا الخطر، ويعملوا على إيقاف السيطرة الأجنبية الواضحة الأثر على التعليم في مختلف مجالاته، ومختلف بيناته، وتبرز خطورة التعليم الذي يشرف عليه الغرب في ذلك الفصل بين التربية والعقيدة والأخلاق، ولا ريب أن الفصل بين التربية والعقيدة والأخلاق إذا صلح كمنهج في الغرب؛ فإنه لا يصلح في العالم الإسلامي والأمة العربية؛ لأنه يتعارض مع تكامل منهجها في الحياة، ونظامها الرباني الجامع.

ومعنى عزل الدين أو الأخلاق عن التربية : هو بناء شخصية هشة، لا تمتلك القدرة على حمل أمانة المجتمع، ومسئولية الأمة، ولا تكون قادرة على مقاطعةً العدوان، أو مواجهة وسائل الإغراء، أو مؤامرات القضاء على كيان العالم الإسلامي، وعندما نستقصي منا هج التربية في العالم كله فلن نجد منهجًا فيها يحظى بما يحظى به برنامج التربية الإسلامية من التكامل الجامع، ومن الاستعلاء على أهواء البشرية.

ويتمثل هذا التكامل في خصائص خمسة:

أولًا: الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ثانيًا: الجمع بين الروح والجسم والعقل.

ثالثًا: الجمع بين التربية للفرد، والتربية للمجتمع.

رابعًا: الجمع بين الغايات القومية والوطنية، والغايات الإنسانية.

خامسًا: الجمع بين التربية دينية، وخلقية وعقلية.

ويقوم هذا المنهج على التوازن والمواءمة، فلا تطغى فيه ناحية من النواحي على ناحية أخرى، ويكون به الفرد فرديًا واجتماعيًا؛ لا تطغى فرديته على جماعيته، وبها يقوى استقلاله الذاتي، وتفتحه الروحي والعقلي معًا، وينتقل من الأنانية إلى الغيرية، ومن الاهتمام الشخصي إلى التضحية للمجموع، إنه إعداد الفرد لذاته؛ ولمجاوزة ذاته في نفس الوقت، وبذلك ينتقل الإنسان من أهوائه إلى الحق، ومن الحيوانية إلى الإنسانية، ومن البشرية إلى الربانية؛ فيكون قابلًا للارتفاع فوق المطامع والشهوات؛ متجهًا إلى الارتفاع ولو شئنا لرفعناه بها.

إن التربية الإسلامية التي يجب أن تتم في مدارسنا ومعاهدنا : تحقق للإنسان مفهوم الحرية الصحيح، ال تحرر من الأهواء والغرائز والنزوات، وذلك عكس ما ترمي إليه التربية الغربية، التي تقصر الإنسان على الاستجابة للأهواء، والتربية الإسلامية تهدف إلى بناء الشخصية بالقرآن الكريم والتاريخ، والقدوة الطيبة، وبناء الشخصية بناء أخلاقيًا دينيًا عقليًا، هو أساس بناء المجتمع، ومصدر القوة في مواجهة كل تحديات الغزو الخارجي، وأبلغ مظاهر التربية الإسلامية التي يجب أن تكون مهمة المدارس التي نقيمها في مجتمعنا الإسلامي، أبلغ مظاهر التربية فيها هي التزكية، تزكية النفس.

والتزكية تعني: تنمية الروح الأخلاقية، ونزعات الخير، وفق القاعدة القرآنية {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } وأبلغ ما تصل إليه التزكية تربية الوازع النفسي، القائم في أعماقها كالديدبان اليقظ، يدعوها إلى الخير، ويردها عن الشر، ويشكل الإرادة الحية القاهرة على الامتناع عن الشر، والاندفاع إلى الخير، وفق قاعدة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الرائعة: «طوبى لعبد جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر».

لقد أعدت التربية الإسلامية المسلم بأمرين : جهلتهما التربية الحديثة وعجزت عنهما؛ نتيجةً لمصادرها المادية، وهما قوام الحياة الحقة على هذه الأرض، وأساس بناء الإنسان الرباني. وهما:

أولًا: الإرادة والمسئولية الفردية حتى يعرف الإنسان أنه قادر على أن يختار بين الخير والشر، والحق والباطل، وأن يمضي مع موكب الحياة، ويضع لبنات جديدة في ذلك الصرح الحضاري الإ نساني، وبدون هذه الإرادة والمسئولية الفردية؛ لا يكون الجزاء الدنيوي والأخروي بعد البعث والنشور . هذه المسئولية قائمة على غاية، هي الجزاء، ثوابًا وعقابًا.

وبدون هذا لا يستقيم عمل الإنسان، ولا يعتصم في دائرة التقوى من شر الأهواء والمطامع.

ثانيًا: الالتزام الأخلاقي الذي يحيط بالإنسان وعمله، إحاطة السوار بالمعصم؛ فيدفعه دائمًا إلى الطريق الصحيح والشريف، ويحميه من أخطار المعصية والخطيئة، والفساد والانحلال والإباحية، ويجعله إنسانًا قويًا قادرًا على مواجهة كل خطر، والوقوف في وجه كل عاصفة.

ومن خلال هذين السلاحين ال ماضيين؛ رسمت التربية الإسلامية طريقها الحق في بناء الإنسان لنفسه رجلًا معتصمًا بالإيمان بالله تعالى عن الخطأ والفساد، وعاملًا لأسرته وجماعته، دون أن تجرفه الأنانية الطاغية، فهو بذلك يكون قادرًا على حماية عقيدته، ووطنه، وأمته من كل ما تتعرض له من تحديات وأخ طار، سواء كانت في مجال الأرض، أم مجال الفكر.

أما حين تخلو التربية الحديثة الوافدة في العالم الإسلامي من قيم العقيدة والأخلاق؛ فإنها لن تكون إلا تبعية شائنة لأهواء الحياة، وأخطاء المجتمعات، وذلك هو ما قصدت إليه القوى المتربصة بالإنسانية الشر، الراغبة في تدم ير المجتمعات قبل السيطرة عليها، وبالإضافة إلى التربية الإسلامية الرشيدة، فإن من الأهداف التي تحققها المدارس التي تنشئها المؤسسات الخيرية أيضًا، تعليم أبناء الإسلام العلوم المختلفة، دينية ودنيوية، فبها تتقدم الأمة، وتقوى شوكتها، وتزدهر حضارتها.

وقد قال القائل:

بِالعِلْمِ وَالْمَالِ يَبْنِيْ النَّاسُ مُلْكَهُمُ لَمْ يُبْنَ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلَالِ

وقد اهتم الإسلام بالعلم اهتمامًا كبيرًا، دلت عليه آيات القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِ لْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: من الآية: ١١] وفي مثل قوله عز وجل {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ } وفي مثل قوله سبحانه {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: من الآية: ٢٨] وهذه الآيات رفعت من قيمة العلماء وبينت فضلهم ومكانتهم عند الله، وعند الناس

- مواساة المحتاجين:

إن الحديث عن المؤسسات الخيرية، وما تقدم للفقراء والمحتاجين من العلاج والتعليم والإنفاق، والرعاية إلى آخر هذه الأمور يمثل نوعًا من المواساة، والله - عز وجل- يقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِ خْوَةٌ} [الحجرات: من الآية: ١٠] ويقول سبحانه وتعالى في وصفهم {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: من الآية: ٢٩] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: «إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- أنواع مواساة المؤمن لأخيه المؤمن؛ فقال: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن، والخدمة، ومواساة بالنصيحة، والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواسا ة، فكلما ضعف الإيما؛ ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلاتباعه من المواساة بحسب اتِّبَاعِهِمْ لَهُ.

٤- تأليف قلوب المدعوين:

نأتي بعد ذلك إلى تأليف قلوب المدعوين:

ونقول: إن النفس البشرية عنيدة وحشية، تُقْبِلُ على من يتألفها، وتنفر ممن يشتد عليها، ولو كان في شدته مصلحتها، كما أنها تألف الاعوجاج، وتميل إلى التمرد، وتكره النصح، ولا ترضى أن تنسب إلى الجهل، أو عدم المعرفة أو سوء التصرف، وتغضب إذا نبهت على خطأ، بل قد تجتهد في معاندة الحق، وعدم الإقرار به؛ خشية انكشاف جهلها، ومن ثَمَّ فلا بد من التلطف في معاملتها، ومحاولة تأليفها على الحق، وأخذها إليه برفق حتى تؤمن به وتذعن له، وقد كان تأليف القلوب على الإسلام أحد أساليب الدعوة التي استعملها النبي -صلى الله عليه وسلم.

فقد روى البزار بسنده عن أبي ه ريرة -رضي الله عنه-: «أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يستعينه في شيء، قال عكرمة : أراه قال في دم، فأعطاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئًا، ثم قال أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي : لا، ولا أجملت؛ فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه، فأشار إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن كفوا، فلما قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبلغ إلى منزله؛ دعا الأعرابي إلى البيت فقال: إنما جئت تسألنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، فزاده رسول الله - صلى الله عليه وسلم- شيئًا، وقال له أحسنت إليك فقال الأعرابي : نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم، ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم، فقال : نعم، فلما جاء الأعرابي، قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم-: إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه، فزعم أنه قد رضي، كذلك يا أعرابي؟ فقال الأعرابي : نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- إن مثلي ومثل هذا الأعرابي : كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا فرارًا، فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها، وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض، ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشد عليها رحلها، وإني لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار » وهذا يدل على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يتألف قلوب الناس، ويستميلهم إليه بحسن خلقه، ولين جانبه وتلطفه معهم.

وقد روت كتب السيرة أن العباس بن عبد المطلب في فتح مكة أتى النبي - صلى الله عليه وسلم- بعد أن أسلم أبو سفيان، وشهد شهادة الحق، وقال : يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئًا، فقال - صلى الله عليه وسلم-: «نعم، وأمر مناديه فنادى من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» ويبدو من خلال ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم- حين علم طبيعة أبي سفيان المحبة للفخر؛ رأى أن يتألف قلبه، وأن يستميله نحو الإسلام خصوصًا وهو في قومه ذو منزلة وسيادة، وكان من عادة النبي - صلى الله عليه وسلم- : «أن ينزل الناس منازلهم، فأمر مناديه أن ينادي من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن».

الحق أن الذي حدث إنما هو مجرد إضافة اسم أبي سفيان على لسان المنادي، وإلا فمن دخل أي دار غير دار أبي سفيان، وأغلق بابها عليه فهو أيضًا آمن، ومن ثم فإن على الدعاة أن يتنبهوا إلى أن استمالة الناس وتأليف قلوبهم نحو منهج الله تعالى، لا يعني بطبيعة الحال تعدي حدود الدين وتعاليمه في ذ لك؛ فلا ينبغي أن يمدحوا باطلًا، أو يتغافلوا عن حق، أو يتركوا واجبًا، أو يأتوا حرامًا، وهم يسيرون في هذا السبيل، وأن يتأسوا في ذلك برسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما أن عليهم كذلك أن يراعوا أن هناك أمورًا من شأنها أن تؤلف قلوب الناس من هذه الأمور:

أولًا: إشعار المدعو أنك تدعوه إلى مبدأ لا إلى نفع شخصي، حين يعلم المدعو ذلك يقبل على الدعوة.

ثانيًا: إشعار المدعو أنك محب له حريص عليه.

ثالثًا: إشعار المدعو بالتواضع له وعدم التكبر عليه؛ فإن من شأن ذلك تأليف قلوب المدعوين؛ فيقبلون على الدعوة وإلا هربوا منها، وأعرض وا عنها، حين يشعرون بتكبر من الداعي عليهم.

رابعًا: تقديم بعض الهدايا والعطايا، ولا شك أن تقديم بعض الهدايا مما يأسر القلوب، ويدفعها دفعًا إلى قبول الدعوة، إنَّ على الدعاة أن يراعوا أن إقبالهم على المدعوين وتألفهم لقلوبهم وتوددهم له مما يساعد على نشر الدعوة ، وأن الهدية ولو كانت رمزية فإن لها أثرًا إيجابيًّا على المدعو إذا صنع الداعية ذلك.

المراجع والمصادر

١- الفيومي، المصباح المنير، ٢٠٠٠/١ المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢١م.
٢- الأصفهاني، الراغب، المفردات، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة.١٩٦٩
٣- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ١٩٠٢/٥، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٨٢م.
٤- ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٣ هـ.
٥- الكفوي، أبو البقاء ، الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣م.
٦- التهانوي، محمد بن علي ، كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق : لطفي عبد البديع ، القاهرة .١٩٦٣
٧- الشرنوبي، أحمد محمد، الحكمة في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، بحث منشور في حولية كلية أصول الدين القاهرة، جامعة الأزهر ٢٠٠٦م.
٨- القرضاوي، يوسف، ثقافة الداعية مكتبة وهبة، الطبعة الثامنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٩- البيانوني، محمد أبو الفتح ، المدخل إلى علم الدعوة : مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
١٠- موسوعة نضرة النعيم، إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف : صالح بن عبد الله حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح ، طبعة دار الوسيلة، السعودية، ٢٠٠٤م.
١١- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٩م.
١٢- الإمام الجويني، الكافية في الجدل، تحقيق د. فوقية حسين محمود، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م.
١٣- حسين عبد الرءوف ، فقه الدعوة الإسلامية ، القاهرة، ط أولى، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧.
١٤- حسين خطاب ، ضوابط العمل الدعوي في مجالات : الموعظة، المجادلة، الحكم على الآخرين ، ص ٦٩، ٧٢، ٧٩، ٨٥ مكتبة الأزهر الحديثة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
١٥- اللحيان، عبد الله بن إبراهيم ، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، مطابع الحميضي - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
١٦- زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، دار عمر بن الخطاب الإسكندرية، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- الشرنوبي، أحمد محمد ، موقف الإسلام من أهل الكتاب، رس الة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية أصول الدين القاهرة.